



إصدارات جمعية البصيرة  
للبحوث والتنمية الإعلامية

# صِنَاعَةُ الْمُهِوِيَّةِ مِنَ التَّكْوِينِ إِلَى التَّحْصِينِ



الدكتور

طاهر أحمد الدين

رئيس جمعية البصيرة للبحوث والتنمية الإعلامية  
تدريسي في كلية الإمام الأعظم الجامعة

الفرع  
للبحوث والتنمية



إصدارات جمعية البصيرة  
للبحوث والتنمية الإعلامية

# صناعة الهوية

## من التكوين إلى التحسين

طه أحمد البصيرة

رئيس جمعية البصيرة للبحوث والتنمية الإعلامية  
تدريسي في كلية الإمام الأعظم الجامعة

٢١٨

ز ٩٤٩ الزيدي، طه احمد.

صناعة الهوية من التكوين الى التحصين / طه احمد الزيدي.

- ط١- بغداد: أنوار دجلة، ٢٠٢٥.

(٥٢) ص؛ (٢٠) سم

١- الاسلام والمجتمع - أ- العنوان

رقم الإيداع

٢٠٢٥ / ٣٤٢٣

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٤٢٣) لسنة (٢٠٢٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾

(البقرة: ١٣٨)



## المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه  
ومن اهتدى بهديه، وبعد:

فإنه في زمن الغفلة وفي مرحلة التيه يحتاج المسلم إلى يقظة،  
والمجتمع إلى صحوة، والأمة إلى نهضة، لنكون على مستوى  
المسؤولية في إنقاذ أنفسنا، وتحصين مجتمعاتنا من التحديات التي  
تهدد وجودنا وهويتنا وحصون أمتنا لنحيا حياة طيبة.

ومنذ عقود أصبحت هوية المسلم وهوية المسلمين الجمعية  
في خطر في ظل التحديات وصراع الإرادات والغزو الفكري  
والاستلاب الاقتصادي والتسلط السياسي، التي يسعى القائمون  
بها لإفساد عقائد المسلمين وسلوكياتهم بل ولغتهم وتاريخهم  
وثنواتهم والقواسم المشتركة، وغايتهم مسخ الهوية وضياعها  
وتقويض مرتكزاتها حتى يصبح المسلمون غثاء كغثاء السيل  
وتنزع المهابة منهم من صدور أعدائهم.

## أهمية الهوية لبناء الشخصية:

إنَّ المسلم إذا انسلخ عن هويته وتقمص هوية غريبة عن عقيدته وقيمه ومبادئه فإنه سيصبح تابعا منقادا، وهذه من الإمعية التي حذّر منها النبي صلى الله عليه وسلم: (لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنًا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطَنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا)<sup>(١)</sup>.

ومن هنا تتجلى أهمية التمسك بالهوية الإسلامية التي تجعل للإنسان قيمته وللمجتمع كيانه وللأمة بقاءها، وينبغي على المسلمين (أفرادا وجماعات) أن يصطبغوا بها: (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) (البقرة: ١٣٨)، فمثلما للإنسان هويته فللمجتمع هويته، والانسجام بين الهويتين يحقق الاستقرار الشخصي والاجتماعي، وعدم الانسجام بين الهويتين يتسبب بأزمة هوية تؤدي إلى الاغتراب والاضطراب وحتى الاحتراب.

(١) رواه الترمذي بسند ضعيف.

## الاشكالية في أزمة الهوية

من مظاهر أزمة الهوية<sup>(١)</sup>:

- \* اضمحلال القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ.
  - \* الشعور بانسداد الآفاق والاتجاه نحو القعود والكسل.
  - \* تراكم التحديات من دون مواجهة رشيدة وحضارية ممتدة.
  - \* غياب اصول التفكير الاستراتيجي والمستقبلي والعجز عن اتخاذ القرار في المسائل الكبرى والمصيرية أو التعجل بالممارسة.
  - \* الشعور بالدونية والانكفاء على الماضي الذهبي والهروب إلى مراحل الازدهار التاريخي والتغني بأجداد الماضي.
  - \* التبنى للمفهوم السلبي للهوية بشقيه:
- الأول: يرى في الهوية معطى جاهزا وناجزا واثباتا لا تغيير فيه ولا  
تبديل، فلا يقبل بالتطور الواقعي فيعيش في جمود وانعزالية، ويرى  
الحفاظ على الهوية يكون بتحنيط الأفكار أو تجميدها أو جمودها.

---

(١) (ينظر: الحرب الحضارية بين الاقتتال على الهوية والقتل على الهوية، مجلة  
سطور عدد أكتوبر ٢٠٠٦، بتصرف).

والآخر: يتجه نحو اعتبار الهوية نتاج ابداعات ومبادرات، ويشير إلى تجاوز الثوابت باعتباره قيمة في حد ذاته.

في حين أن المفهوم الدقيق للهوية تكون باعتماد الوسطية بين الجمود والقعود والعبثية في التفكير العصراني، وبضبط الحركة الدائبة داخل دائرة الثبات وحدود تحرك الفعل والرؤية نحو المتغير، فثبات في النواة الصلبة وتفاعل مع الواقع المتغير<sup>(١)</sup>.

إن تربية الجيل على مفهوم الهوية الإسلامية ومقوماتها، وإحالتها إلى برامج تنموية لتشكيل الشخصية المستقبلية تمثل ارهاصات النهوض بالأمة من مرحلة الاستضعاف إلى التمكين، ومن التهديد إلى التحصين.

### محاورة صناعة الهوية:

ينتظم الحديث عن الهوية الإسلامية وصناعتها في المحاور الآتية:

(١) (مفاهيم في بناء الوعي والسعي، مركز الفكر السياسي الإسلامي الاستراتيجي ط ٢ / ٢٠٢١، اسطنبول، ١ / ١١٨).

المحور الأول: مفهوم الهوية الإسلامية - المقومات والركائز.

المحور الثاني: الأمم وصراع الهويات.

المحور الثالث: الهوية الإسلامية - تكوين وتحصين.

نسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

بغداد السلام

ذو الحجة ١٤٤٦ - ٢٠٢٥

## المحور الأول: مفهوم الهوية الإسلامية - المقومات والركائز

### أولاً: تعريف الهوية

هي مطابقة الشيء لنفسه فهي جوهر الشيء وحقيقته، وإن الأمر المتعلق من حيث أنه معقول في جواب ما هو يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن امتيازه عن الأغيار يسمى هوية<sup>(١)</sup>.

الهوية: تمثل مجموعة الأوصاف والسلوكيات التي تميز الشخص عن غيره والمجتمع عما سواه.

والهوية الإسلامية: هي مجموعة الأوصاف والسلوكيات المؤطرة بالشريعة التي تميز المسلم عن غيره، والمجتمع عما سواه.

(١) (الكليات للكفوي ص ٩٦١).

## ثانياً: مقومات الهوية الإسلامية

تتميز الهوية الإسلامية بالآتي:

- \* ربانية المصدر والمرجعية: فهي هوية مستقلة لا تذوب ولا تنكمش ولا تخضع للضغوطات.
- \* عقدية: فأصل الانتماء إليها الإيمان وليس الجنس والعرق.
- \* متكاملة: لا تحتاج في أصولها وأسسها إلى فكر أو منهج آخر.
- \* عالمية: تخاطب البشرية جمعاء.
- \* تحررية متجددة منضبطة: فهي هوية حيوية قادرة على توظيف الامكانيات المتاحة واستيعاب المتغيرات وتواكب المستجدات.
- \* أصيلة منفتحة: تتسم بأصلها العلمي وعمقها الفكري وقوتها الذاتية وتجذرها التاريخي وتكاملتها وتفردتها، فهي لا تتغير ولا تبدل ولا تختلط بغيرها من الهويات، ولكنها تتعايش معها من أجل أن تنعم البشرية بالخير والرحمة والعدل والانصاف والكرامة.

### ثالثاً: ركائز الهوية الإسلامية

إن حياة المسلم الذي يعتز بهويته الإسلامية تقوم على ثلاث ركائز متكاملة، هي:

#### الركيزة الأولى: الهوية الإسلامية الذاتية

التي تجدد حياة النفس من خلال مبدأ بالإسلام نحياء، وبالإجابة عن تساؤل: ماذا يعني انتمائي للإسلام؟.

وحقيقتها أن يتمسك المسلم بالإسلام، ويتخذ من شريعته منهجاً متكاملًا في حياته الشخصية (عقيدة وعبادة وأخلاقاً)، (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) (الأنعام)، ويكون انتماؤه للإسلام انتماً حقيقياً لا وراثياً ولا عاطفياً ولا مصلحياً، فإسلامنا الحق ليس ادعاءً وإنما انتماً واعتصام واداء.

#### الركيزة الثانية: الهوية الإسلامية المجتمعية

التي تتجدد فيها حياة المجتمع بإصلاحه تحت مبدأ للإسلام نحياء، وكيف نعمل للإسلام؟

وحقيقتها أن يتخذ المسلم من الإسلام منهجا متكاملا في حياته المجتمعية في جميع مجالاتها (دعوة وإصلاحا وبناء مجتمعا)، ويكون انتهاؤه لهذا المنهج انتهاء مصيريا، وليس مرحليا، إذ يرتبط مصير المسلم بمصير هويته المجتمعية، بأداء واجب الإصلاح، وإحياء فقه الدعوة إلى الله تعالى، والقيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصرة المظلوم، والعناية بالترية الأسرية، وبناء جيل يحمل هموم الأمة ورسالة السماء إلى البشرية جمعاء، يقول الله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (سورة آل عمران: ١٠٤).

### الركيزة الثالثة: الهوية الإسلامية الجامعة

وبها يتم ضبط قانون الاختلاف مع الآخرين، وفي مقدمة ذلك: الاجتماع مع المخالف لنا من أهل الإسلام، تحت مبدأ معا نعمل للإسلام.

فالأمة قد ابتليت بصور شتى من العدوان الداخلي والخارجي، غير أن أعظم ما منيت به هو بدعة التفرق وفتنة التمزق، وفشو

الغبية والنميمة وفساد ذات البين، والظلم من أبنائها بعضهم للبعض الآخر، الى درجة التسقيط أو الاستعلاء على الآخرين، والاقصاء للشركاء في الأرض والدين، حتى أصبحت الأمة صيدا ثمينا لأعدائها من الخارج، وساحة خصبة للشقاق والتفرق من الداخل، يقول المستشرق الايرلندي (لورانس بروان)<sup>(١)</sup>: «الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على الإقناع والإخضاع، وفي حيويته المتجددة على مر الزمان، فهو الصخرة الصلدة في وجه الاستعمار الأوروبي، وإذا اتحد المسلمون أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم كله، أما إذا بقوا متفرقين كانوا بلا قوة ولا تأثير»، ويصرح المبشر «كاهون سيمون» عن رغبة التبشير القوية في تفريق المسلمين، بقوله: «إِنَّ الْوَحْدَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ تَجْمَعُ آمَالَ الشُّعُوبِ السُّودِ، وَتُسَاعِدُهُمْ عَلَى التَّمَلُّصِ مِنَ السَّيْطَرَةِ الْأُورُوبِيَّةِ، وَلِذَلِكَ كَانَ التَّبَشِيرُ عَامِلًا مُهِمًّا فِي كَسْرِ شَوْكَةِ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ، ذَلِكَ لِأَنَّ التَّبَشِيرَ يَعْمَلُ عَلَى إِظْهَارِ الْأُورُوبِيِّينَ فِي نُورِ

(١) في كتابه (الإسلام والإرساليات ص ٤٤).

جَدِيدٍ جَذَابٍ، وَعَلَى سَلْبِ الْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ عُنْصُرِ الْقُوَّةِ  
وَالْتَمَرُكُزِ فِيهَا»<sup>(١)</sup>.

والاختلاف سنة كونية - قدرية في حركة المجتمعات: (وَلَوْ  
شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ \* إِلَّا مَنْ  
رَحِمَ رَبُّكَ) (هود ١١٨-١١٩)، ولكن التفرق قرار تكليفي  
مذموم شرعا، (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا  
جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (آل عمران: ١٠٥)،  
(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ  
وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأنفال: ٤٦)، ولذلك حدد  
النبي صلى الله عليه وسلم سبل الاعتصام عند الاختلاف،  
بقوله: (فإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم  
بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها  
بالنواجذ)<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر كتاب: التبشير والاستعمار للدكتور محمد البهي: ص ٣٢).

(٢) رواه ابو داود والترمذي، وابن ماجه وهو صحيح.

ووقوع الخلاف أمر طبيعي ومنه ما هو فطري، فلم يكن ثمت إنكار على هذا، وإنما الإنكار على عدم ضبطه بضوابط الشريعة الغراء، وقد وقع الخلاف بين خيار الأمة فلم يحتكموا إلى أهوائهم بل سلكوا سبيل النجاة فردوا ما اختلفوا فيه إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فكان فعلهم صالحا وعاقبتهم خيرا، قال تعالى: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء: ٥٩)، وهذا من أصول الاعتقاد، قال الإمام الطحاوي رحمه الله: «ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة»<sup>(١)</sup>.

#### رابعا: هوية المسلم وإيجابية البناء الذاتي والمجتمعي

الإسلام ينظر إلى المسلم كفرد وكجزء فاعل في المجتمع ومتكامل مع الآخرين، قال الله تعالى: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)

(١) (شرح العقيدة الطحاوية: ص ٥٤٤).

(التوبة: ١١٢)، فهذه الآية الجامعة ترسم معالم الشخصية المسلمة التي تصطبغ بالصبغة الربانية:

فالصفات الست الأولى: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ) هذه تتعلق ببناء النفس صلاحها، والصفات الثلاث الأخرى: (الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) فهذه لبناء المجتمع واصلاحه، وخاتمتها: (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) وهذه للحياة مع المسلمين، وبها تتحقق البشري في الدنيا والآخرة.

فالمسلم في ذاته يجب أن يكون صالحا، ايجابيا في نفسه: مؤمن تائب حامد ذاك صائم مصلي، يحج ويزكي وغيرها من العبادات التي تربط قلبك وجوارحك بالله تعالى.

وأما كفرد في المجتمع فلا تكتفي الشريعة الإسلامية بصلاح المسلم ليكون ايجابيا وإنما لا بد أن يكون مصلحا للآخرين، يقول الله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (سورة آل عمران: ١١٠).

والقيم الأخلاقية الإسلامية وإن كانت تبنى على تعشق الخير، ولكنها لا تتوقف عنده، وإنما تتعداه إلى محاربة الشر، فليس الصالح من هو صالح في نفسه فقط، وإنما من هو صالح في نفسه مصلح لغيره، وليس كريم الأخلاق من يقف موقفاً سلبياً تجاه الظلم، وإن كان يتخلق بأطيب الأخلاق، وإنما عليه أن يتخذ موقفاً إيجابياً بأن يعلن إنكاره للظلم بل يسعى إلى إزالته وتغييره بما يملك من قدرات، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فليغيره بلسانه، فإن لم يستطع فليغيره بقلبه، وذلك أضعف الإيوان)<sup>(١)</sup>.

### مخالطة الناس ايجابية والانعزالية سلبية

كثير من الناس يتميزون بأخلاق فاضلة، من كرم ووفاء، وصدق وإخلاص، ورحمة وعطف، ولكنهم في الوقت نفسه، يعزلون أنفسهم عن مجتمعهم، ولا يندمجون في أوساط الناس، وفئات المجتمع، تلافياً للأذى الذي قد يلحقهم، وهؤلاء يختارون

(١) رواه مسلم.

أيسر سبل الحياة، وأقلها مؤونة وكلفة، أما المسلم الحقيقي فهو الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، بقصد تصحيح الخطأ وتقويم الاعوجاج، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ)<sup>(١)</sup>.

إن الإيجابية الأخلاقية هي سبيل الإصلاح، ومسؤولية الفرد تمتد إلى الحالة التي لا يترك فيها الشرور تنتشر دون أن يتدخل لمنعها أو على الأقل لإنكارها، وإعلان سخطه عليها، ولذا لما اعتزل نفر من أهل الكوفة، ونزلوا قريبا يتعبدون، فبلغ ذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فأتاهم، ففرحوا بمجيئه إليهم، فقال لهم: مَا حَمَلَكُم عَلَى مَا صَنَعْتُمْ؟ قَالُوا: أَحْبَبْنَا أَنْ نَخْرُجَ مِنْ غَمَارِ النَّاسِ نَتَعَبَّدُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَوْ أَنَّ النَّاسَ فَعَلُوا مِثْلَ مَا فَعَلْتُمْ، فَمَنْ كَانَ يُقَاتِلُ الْعَدُوَّ؟ وَمَا أَنَا بِبَارِحٍ حَتَّى تَرْجِعُوا.

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وهو صحيح.

فبناء الأوطان وإعمار الأرض، وحفظ الأمة والدين لا يكون إلا بإيجابية مخالطة أفراد المجتمع والعمل معهم لتحقيق هذه المقاصد العظمى.

### اللامبالاة الاصلاحية سلبية، بل جريمة

في الشريعة الاسلامية تتساوى اللامبالاة الاجتماعية في التجريم مع الفعل الإجرامي، والامتناع عن إعلان الرأي بشأن الأمور المخالفة للشرع يعد نوعاً من الاشتراك في المخالفة، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّايَ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَسْتَفْتُونَ \* فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) (سورة الأعراف: ١٦٤-١٦٥).

فالسلبية تجاه المنحرفين، تجعلهم فتنة لغيرهم، وإغراء لهم بإتباع سلوكهم، فتعم المنكرات، وتشيع الموبقات، وبذلك تتحول السلبية إلى تدمير وهدم، ولذا يساوي الإسلام بين الظلم والظالم لأن السلبية إقرار صامت بالانحراف، يقول رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعْاصِي، ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى

أَنْ يُعَيِّرُوا، ثُمَّ لَا يُعَيِّرُوا، إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ) (١)، بل يعد السكوت عن الخطيئة مشاركة في جرمها، لقول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا عُمِلَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ، كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَأَنْكَرَهَا، كَانَ كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيهَا، كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا) (٢).

### الايجابية إنقاذ للجميع والسلبية هلاك للجميع

في صراع الهوية قد ترتكب بعض المعاصي وتذبح الفضيلة باسم الحرية الشخصية، وتنتهك استار الحق باسم حرية التعبير، حتى إذا ما دبّ ظلام الرذيلة وطغيان الباطل، جاء سخط الله على الجميع، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَرَعَا يَقُولُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ، فَتُحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ) وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَتَهْلِكُ وَفِينَا الصَّاحِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ

(١) رواه أبو داود وابن ماجه وهو حديث حسن.

(٢) رواه أبو داود وهو حديث حسن.

إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ<sup>(١)</sup>، أَي: انتشر الفسوق والفجور والمعاصي.  
 وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِينَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا)<sup>(٢)</sup>.

بل وترك الايجابية في الإصلاح والتغيير سبب لتسلط الأشرار، وانحسار لدور الأخيار، يقول عليه الصلاة والسلام: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم) وفي رواية: (أَوْ لَيَسْلُطَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ، ثُمَّ يَدْعُو خِيَارَكُمْ فَلَا

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

يُسْتَجَابُ لَهُمْ<sup>(١)</sup>.

وأخيرا فان الفرقة الناجية، هم الايجابيون الصالحون المصلحون، قال الله تعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ) (سورة هود: ١١٧).



(١) رواه الترمذي وهو حديث حسن والرواية رواها الطبراني في الأوسط.

## المحور الثاني:

### الأمم وصراع الهويات

من المقاصد العليا للإسلام تحقيق مبدأ الأمة الواحدة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ \* فَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون: ٥٢-٥٣).

ومن ركائز هوية الأمة الإسلامية: الوحدة والعبودية والتقوى والدعوة الإصلاحية: الوحدة في اجتماعهم، والعبودية والتقوى في منهجهم، والدعوة الإصلاحية سبيلهم، يقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٠٤-١٠٥)، ويقول سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

## أولاً: الهوية ركيزة الأمم

البشرية اليوم امم مختلفة، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (٨١١) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: ٨١١-٩١١)، وقد أدركت كل الأمم أن قضية الهوية قضية محورية، ومن لم ينتبه إليها سيدوب حتماً في ثقافة غيره، وستلاشى مميزاته الخاصة ليكون ذليلاً أو ذنباً، وأن الأمم التي تريد أن تبقى عليها أن تحافظ على هويتها، ولذلك تحاول كل دولة أو أمة أن تصون لأتباعها هويتهم وتحميهم عن غزو الثقافات الأخرى لثقافتهم، فعندما رأى الفرنسيون أن اتفاقية (الجات) تؤدي إلى دخول المواد الثقافية الأمريكية بمعدلات كبيرة لفرنسا مما يشكل تهديدا صارخا لهويتهم القومية، رفضوا التوقيع على الجزء الثقافي من الاتفاقية وطالبوا بتخفيض تلك المعدلات.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية تم ترويج مصطلح «الأمة الأمريكية»، ويطلق على الهوية الوطنية التي يتمتع بها مواطنو

الولايات المتحدة الأمريكية، ويشتمل هذا المصطلح مجموعة واسعة من القيم والمبادئ، مثل الحرية، المساواة، الديمقراطية، والاستقلال، فضلا عن الهوية الثقافية والاجتماعية المشتركة التي تجمع بين سكان البلاد.

والدولة الصهيونية تكرر مرارا تمسكها بهويتها، فهي لم تقم إلا على أساس الدين اليهودي، وتحمل اسم نبي الله يعقوب عليه السلام «إسرائيل»، وليس لها دستور مدني؛ لأن دستورها التوراة، ويتشبث اليهود بتعاليمه في السياسة والاجتماع وحياة الأفراد أو هكذا يظهرون.

وقد أحياوا اللغة العبرية التي انقرضت من ألفي سنة لتكون لغتهم الخاصة ولغة العلم عندهم، يقول «أدولف كرايمر» اليهودي: «جنسيتنا هي دين آبائنا ونحن لا نعترف بأية قومية أو جنسية أخرى»، وعندما قال رئيس وزراء إحدى الدول العربية في ندوة بجامعة تل أبيب: «إننا في (بلدنا) نفرق بين الدين والقومية، ولا نقبل أن تكون قيادتنا السياسية مرتكزة على معتقداتنا الدينية»، ردّ عليه ديفيد فيثال قائلاً: «إنكم أحرار في أن تفصلوا بين الدين

والدولة، ولكننا في إسرائيل نرفض أن نقول: إن اليهودية مجرد دين فقط».

في المقابل نجد خصوم الأمة الإسلامية لن يتركوها على هويتها الإسلامية وعقيدتها التوحيدية وثقافتها الإيمانية، ويجتهدون في تذويب هوية المسلمين وطمس معالمها والنأي بهم بعيدا عن دينهم حتى لا يعود الإسلام إلى الساحة مرة أخرى وقد عبر القرآن عن هذه الحقيقة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧] ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩]، ومن يتابع قرارات الدول الغربية وأقوال قادتها يجد أن هذه الحقيقة متجذرة فيهم، وهذه بعض الشواهد<sup>(١)</sup>:

في كتابه «الفرصة السانحة» يقول الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون: «إننا لا نخشى الضربة النووية ولكن نخشى الإسلام والحرب العقائدية التي قد تقضي على الهوية الذاتية للغرب»،

(١) للتوسع ينظر كتاب: قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، لمؤلفه جلال العالم (عبد الودود يوسف) له طبعات عدة.

وقال أيضا: «إن العالم الإسلامي يشكل واحدا من أكبر التحديات لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية في القرن الحادي والعشرين».

ويقول إيوجين روستو مستشار الرئيس الأمريكي الأسبق جونسون لشؤون الشرق الأوسط: «إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي، فلسفته، وعقيدته ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي، وقد صرح مسؤول في الخارجية الفرنسية: «أن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً عنيفاً هو الخطر الإسلامي».

ويحذر رئيس الوزراء البريطاني توني بليز من تحكيم الشريعة التي ستكون سببا في انتهاء سيطرة الغرب على بلاد المسلمين، وإزالة الدولة الصهيونية، بقوله: «إننا نجابه حركة تسعى إلى إزالة دولة (إسرائيل) وإلى إخراج الغرب من العالم الإسلامي وإلى إقامة دولة إسلامية واحدة تحكم بالشريعة الإسلامية».

وفي محاضرة له في جامعة برنستون الأمريكية صرح أبا إيبان

وزير خارجية الكيان الصهيوني الأسبق (ت ٢٠٠٢): « يحاول بعض الزعماء العرب أن يتعرف على نسبه الإسلامي بعد الهزيمة، وفي ذلك الخطر الحقيقي على إسرائيل، ولذا كان من أول واجباتنا أن نبقي العرب على يقين راسخ بنسبهم القومي لا الإسلامي».

### ثانيا: الهوية والتعايش السلمي

في المجتمعات المتنوعة ومتعددة القوميات والديانات والمذاهب، كما في كثير من البلدان العربية والإسلامية - ومنها العراق، وكذلك الأقليات المسلمة، لا يمكن أن يتحقق الاستقرار إلا من خلال اعتماد هذه المبادئ التي تضبط سلوك الفرد في المجتمع:

\* اعتزاز المسلم بهويته والحفاظ عليها وعدم الانسلاخ منها، بسبب التحديات أو الاستسلام للضغوطات أو طلبا للمغريات، (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (آل عمران: ٨٥)، (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران: ٦٤).

\* التعايش السلمي مع المكونات الأخرى تحت مظلة الجامعة

والهوية الوطنية والاحترام المتبادل ضمن الأخوة الانسانية، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (الحجرات: ١٣)، (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) (الأنفال: ٦١).

\* مواجهة الظواهر الاجتماعية السلبية الدخيلة على مجتمعنا، والتعاون على ذلك: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ) (المائدة: ٢).

والهوية الإسلامية في الحقيقة هي الانتماء إلى الله ورسوله وإلى القرآن والسنة النبوية، وإلى دين الفطرة السليمة وعقيدة التوحيد التي أكمل الله لنا بها الدين وأتم علينا بها النعمة، (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة: ٣)، وجعلنا بها الأمة الوسط الشاهدة على الناس والامم التي قبلها (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) (البقرة: ١٤٣)، وخير أمة أخرجت للناس، (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (آل عمران: ١١٠).

## المحور الثالث:

# الهوية الإسلامية تكوين وتحصين

### أولاً: لماذا يستبدلون هويتنا؟

في البناء الحضاري تمثل الهوية الحافزَ الذاتي، الذي يدفع أبناء أمةٍ من الأمم نحو التقدم بقوة في اتجاه (الإحياء الحضاري والعطاء الحضاري والشهود الحضاري)، ويقاومون في الوقت نفسه الاجتياح الحضاري للأمم الأخرى القائمة على حضارة القوة، وعلى متانة مقومات الهوية وعمق جذورها وتماسك جذعها وحيوية اغصانها يستمد أبناء الأمة قوة الصمود والتحدي أمام تيار الغزو الحضاري.

ولأن الإسلام دينٌ وحضارة فإن الهوية الإسلامية تستمد عوامل استقرارها من قوة الحضارة التي صنعها الإسلام في نفوس أبنائه وفي مقومات الدول التي اعتنقته، واستطاعت أن تواجه حضارات القوة فتغلبت عليها أو قاومت هجماتها على

مدى اربعة عشر قرنا.

وفي التاريخ المعاصر وبعد أن ألغيت الخلافة الإسلامية ووقعت الأمة تحت براثن الاستعمار العسكري والغزو الفكري والثقافي والسيطرة الاقتصادية كانت من اولويات دوائر الغرب والتغريب محاولة القضاء على هوية الأمة الإسلامية، واستبدالها بهويات هامشية قاصرة، يقول المستشرق ت. كويلر ينج في كتابه «الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته»، وهو يتحدث عن أسلوب نزع ولاء المسلمين: «إننا في كل بلد إسلامي دخلناه نبشنا الأرض لنحصل على تراث الحضارات القديمة قبل الإسلام، ولسنا نعتقد بهذا أن المسلم سيترك دينه، ولكنه يكفينا منه تذبذب ولاءه بين الإسلام وتلك الحضارات»<sup>(١)</sup>.

وتلقف ذلك المنهج العصريون وادعوا أن طريق الإحياء الحضاري للأمة الإسلامية هو إحياء الهويات الثانوية على حساب الهوية الإسلامية كإحياء الهوية (الوطنية) والهوية (القومية)، أو

(١) نقلا عن واقعنا المعاصر، محمد قطب، دار الشرق - القاهرة، ط ١ / ١٩٩٧،

الهويات التاريخية المنقرضة في كل بلد من بلاد المسلمين، وحين تمكن هؤلاء من ادارة البلاد تمزقت البلدان وتهاوت الوحدة وتعالَت العصبية من جديد وحدثت الصراعات الداخلية وحصلت الحروب والاصطدامات بين الأقطار المتجاورة انتصارا للوطنية أو القومية.

والإسلام لا يعادي ولا يقضي على الانتماءات الجغرافية، أو الانتماءات العرقية القبلية، ولا يُحرّم محبة الأوطان، والاعتزاز بالانتساب إلى القوم فهو أمر فطري وله بعد شرعي، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يحب مكة وأرضها، ويتنسب إلى قومه وقبيلته ويحب قريشاً ويقدمها ويوصي بها، ولكن حب القبيلة والارض والوطن يجب ألا يحمل صاحبه على عصبية ممقوتة، ولا يدفعه إلى إقليمية ضيقة، بل يجب أن تنضوي كل هذه المعاني في الإطار العام هوية المسلمين؛ هوية الدين والعقيدة، التي حينما تمسك بها المسلمون حفظت الأوطان والأنساب والأقوام، بل وتقدمت الأمة فكانت لها الريادة والسيادة والقيادة.

لقد أصبحت الدول العربية بعد ذهاب الدولة الجامعة أسيرة  
 النفوذ للقوى الكبرى وخضعت لأجندتها، وحينما حاولت  
 مواجهة التحديات الخارجية تحت مظلة الهويات الثانوية، يقابله  
 حربٌ واسعة على كافة المستويات السياسية والفكرية والثقافية  
 والاجتماعية والتعليمية على الهوية الإسلامية، وازاء هذا التخطيط  
 دخلت الدول في مرحلة التيه والاعتراب والاضطراب، ثم أثمرت  
 هذه السنوات العجاف بين أبناء الأمة: (الخواء الروحي) و(الفراغ  
 الاجتماعي)، (والاعتراب الفكري) و(الانحدار الخلفي)  
 (والتراجع العلمي) (والضعف الاقتصادي) و(الاضطراب  
 السياسي).

وانزوى العقلاء واعتزل الحكماء وأبعد الصلحاء من أبناء  
 الأمة، وصارت الكلمة النافذة حكرا على السفهاء والروبيضة،  
 كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: (إِنَّهَا سَتَأْتِي  
 عَلَى النَّاسِ سِنَاتٌ خِدَاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكذَّبُ  
 فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُحَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ  
 فِيهَا الرَّوْبِيضَةُ) قيل: وَمَا الرَّوْبِيضَةُ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «السَّفِيه»

يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ) فكان الفسادُ العريضُ، والجهودُ الضائعةُ، والطاقتُ المعطلةُ والثرواتُ المهترئةُ عنوانا لمجتمعنا.

وأقصىت الشريعة من التشريع، إلا في حدود العبادات والتصرفات الشخصية، وجيء بالقوانين الوضعية والأنظمة المستوردة والمذاهب الفكرية المنحرفة، وفرضت إغراء وترهيبا فكان لها الحكمُ وأمرُ البلاد.

وحتى بعد رحيل الغزو العسكري، بقي الغزوُ الفكري الذي ألبس العقولَ والبلدان ثوبا ليس على مقاساتها، فكان الضياعُ والتراجع فتأخر المسلمون وتقدم غيرهم، وافتقر العربُ واستغنى الغربيون بثرواتهم.

**ثانيا: صحوه لتكوين الهوية الإسلامية وترسيخ**

### **ركائزها**

منذ عقود تيقظ مصلحو الأمة وشبابها وأدركوا أن نقطة التحول في طريق إحياء الأمة الإسلامية، وكسر قيود الأسر وأغلال الانقياد للخصوم وبداية حضارة الإسلام من جديد، هي (إحياء الهوية الإسلامية)، لأنها هي الهوية الحقيقية للأمة،

وسعى الصادقون إلى إيجاد (المشروع الحضاري الإسلامي)..  
 ليكون ذلك سبيلاً إلى استقطاب أفراد الأمة، وتفعيل كفاءاتها  
 وملء الفراغ الاجتماعي، لتزول ظواهر الاغتراب والضياع  
 والتأخر والتبعية، وتصبح (الهوية الإسلامية) حافزاً للتغيير،  
 ودافعاً للنهوض وسبيلاً للإصلاح والاستقلال، ومعلماً للتعايش  
 والتعاون فكانت الصحوّة الإسلامية التي أشاعت بنورها دروب  
 المسلمين ولو على المستوى الشعبي.

ولعل من أبرز المقومات التكوينية للهوية الإسلامية وسبل  
 الحفاظ عليها في ظل التحديات المعاصرة، ما يأتي:

١- التعلُّقُ بالله عزَّ وجل والاستعانةُ به، وسؤاله الهداية والثبات  
 على دين الإسلام من غير تبديل ولا تغيير ولا تحريف. (إِلَّا الَّذِينَ  
 تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ  
 الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء: ١٤٦).

٢- الثَّقةُ بمنهج الله ووعده وحكمه وأوامره، والاعتصامُ بحبل  
 الله تعالى، والشعورُ بالمسئوليَّة عن حفظ الدين من شبهات  
 المغرضين، وتنقيته مما خلط به من الاباطيل والبدع والضلالات

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) (آل عمران: ١٠٣).

٣- البناء الذاتي بمعرفة مصادر التلقي، والتمسك باتباع هدي النبوة، وتقديم النقل على العقل مع ضبط إعماله، واعتماد مناهج الاستدلال السليمة، وملء القلب والعقل والجوارح بنور الوحي من الكتاب والسنة، مع ملازمة إجماع أهل السنة والجماعة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء: ٥٩).

٤- تلقي العلم عن العلماء الربانيين، ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الانبياء: ٧)، وإرجاع المسائل الكبرى والنوازل العظمية إليهم وليحذر انصاف المتعلمين أو غير المتصلعين في علوم الشريعة وإن كانوا علماء في مجالات العلوم الاخرى، (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ

اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَا تَبْعُثُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا) (النساء: ٨٣).

٥- نشر ثقافة القرآن، وثقافة السنة النبوية، وثقافة الحلال والحرام بين فئات المجتمع كافة، فتصبح هذه المعاني رأي عام لا يمكن إغفاله أو تجاوزه، ويتحول المجتمع برمته إلى مجتمع رباني: (وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلَّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ) (آل عمران: ٧٩)، (أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) (الزمر: ٩).

٦- توظيف المنابر الدعوية والمحافل العلمية والوسائل الإعلامية ومواقع التواصل الاجتماعي بتكثيف البرامج الإرشادية والتوجيهية، من أجل زرع الثقة في قلوب المسلمين بالاعتزاز بدينهم وعقيدتهم وشريعتهم (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل: ١٢٥)، (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) \* وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا) (الأحزاب: ٤٦-٤٧).

٧- العناية بمراكز الدراسات الريادية والمتخصصة برصد

الانحرافات الفكرية، وتفنيد الشُّبه، والجوابِ عن الشبهات والشكوك التي يروج لها خصومُ الإسلام في الداخل والخارج، بالحجة والبرهان وتقديم رؤى استشرافية، من منطلق قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٢).

٨- تربية الاجيال وتنشئتهم التنشئة الصحيحة؛ لضمان التحصين العقدي والخلقي الذي يمثل أول عملية غرس في التربة، وترسيخ معالم الهوية الإسلامية في نفوسهم فمن شبَّ على شيء شاب عليه (يا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (لقمان: ١٣)، (يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) \* وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (لقمان: ١٧-١٨).

٩- اعتماد سياسة التمويل الذاتي، والتداول الاكتفائي وحسن التدبير والتنمية الاستدامة، في بناء المجتمع وتوفير احتياجاته وتأمين متطلباته، وحفظ الأمن الغذائي والصحي والبيئي والاقتصادي والتعليمي والإعلامي - السيراني، لهذا الجيل

والأجيال القادمة، على وفق سنن الله تعالى الكونية والتكليفية: (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) (الشورى: ٢٧)، (كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ) (الحشر: ٧)، (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ \* وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ \* وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) (الحجر: ١٩ - ٢١)، (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) (الأعراف: ١٠)، قال ابن عاشور: ومعايش جمع معيشة، وهي ما يعيش به الحي من الطعام والشراب، مشتقة من العيش وهو الحياة<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: تحصين الهوية الإسلامية

إن خطاب الهوية الإسلامية يتميز بالعزلة التي أقرها الإسلام لله ولرسوله والمؤمنين، ولكن هذا التمييز يكون من غير انغلاق يؤدي إلى الانعزالية، ولن تعرف هذه العزلة والخيرية إلا بالتواصل

(١) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ٨ / ٣٤.

مع فئات المجتمع كافة.

في حين ينطلق جزء كبير من الخطاب الإسلامي المعاصر الاجتهادي والفكري من منطلق الاستعلاء على الآخر والاستغناء عنه والاقصاء له (ولاسيما الخطاب في الحوارات الإسلامية - الإسلامية)؛ فكثير من التيارات الإسلامية يخاطب قاداتها غيرهم من فوق ومن علو ومن برج، على أساس أنه يملك الحقيقة المطلقة، ويتعامل مع الآخر من منطلق الاكتفاء بقدراته وطاقاته، ويتحرك كأنه وحده سيحقق أهداف الأمة كلها من دون حاجة إلى التعاون مع الآخرين، (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) (المائدة: ٢)، إنه خطاب مستعلٍ، لا يطرح نفسه بوصفه اجتهاداً، أو رأياً، أو اقتراحاً فيه ما في اجتهادات البشر من القصور والمحدودية، بل يضيف على نفسه مطلقيّة الوحي وكماله، وعصمة من نزل عليه، كأنه الوريث الوحيد لمقولة كل يؤخذ منه ويرد إلا صاحب هذا القبر عليه الصلاة والسلام أو انه الممثل الوحيد للفرقة الناجية. وكل هذا يجرّ إلى إصدار أحكامٍ قطعية واستنتاجات مطلقة فيضيق دائرة الحوار ويغلق باب الاحتمالات، ويقطع بذلك

التواصل البناء وايصال الخير للآخرين.  
 لعل هذه الاستعلائية والاقصائية في الخطاب مبنية على أخطاء  
 في التصور:

\* رفع الاجتهادات البشرية إلى مستوى النصوص والأحكام  
 الشرعية القطعية الثابتة بالكتاب والسنة، فيعتبر الرأي المخالف  
 فيها باطلاً مجافياً للحق.

\* الانطلاق من تزكية النفس وتنزيه الذات، يقابله الحطُّ من  
 الآخرين وتضخيم عيوبهم، وفي ذلك مخالفة للنصوص الصريحة،  
 ومنها قوله تعالى: (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى)  
 (النجم: ٣٢)، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ  
 يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ)  
 (الحجرات: ١١).

\* يعتبر الخطاب المستغني نفسه كاملاً، مكتفياً بذاته، لا يحتاج  
 إلى من ينبهه إلى خطأ، أو يعرفه بنقص، ورحم الله الخلفاء  
 الراشدين إذ حرصوا على أن يُبينَ الناسَ لهم أخطاءهم؛ ليعينوهم  
 على إدراكها وتصحيحها، فقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه

في أول خطبة له بعد مبايعته على الخلافة: أما بعد أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، ويقول الخليفة عمر: رحم الله امرأ أهدى إلينا عيوبنا، ومن يتنكر لذلك فكأنه لا يحتاج إلى الاستفادة من غيره ولو كان من العلماء المعترين أو الخبراء المحنكين.

\* ينظر الخطاب المستغني إلى الأفكار والأشخاص نظرة تتسم بالمطلقية الحادة، فهي إما خير محض وإما شر محض، والآخرون إما أصدقاء وإما أعداء، ولا حل وسط، ولا مجال لأي تطبيق جزئي أو أي تدرج.

إنَّ المنهجية الربانية في خطابنا التواصلي تدعوننا إلى عدم الاستعلاء والاستغناء عن الآخرين، وعلينا جميعاً الإقرار بمبدأ أن الساحة الإسلامية لا نقول: تستوعب الكل فحسب، وإنما تحتاج الكل لعظم التحديات الداخلية والخارجية التي تواجهها أمتنا وهويتنا.

إنَّ تحصين الهوية في البيئة العربية- الإسلامية، وتضييق دائرة خطاب الكراهية، والتسقيط والاقصاء يكون من خلال الآتي:

\* أولاً: توظيف وسائل الاعلام ومواقع التواصل الاجتماعي، كمنصات لبث رسالة الإسلام السمحة، وتعريف الناس بهذا الدين العظيم، فالإسلام منهج رباني لا مكان فيه للنظرة العنصرية، أو للتفريق على أساس اللون أو الجنس.

\* ثانياً: احترام حق الآخرين في حرية التعبير ما دام أنه لا يتعلق بموضوع يصادم قواعد الشرع والقيم العليا للمجتمع.

\* ثالثاً: اللجوء إلى الحوار البناء في القضاء على الأفكار العنصرية، من خلال رفع مستوى الوعي بشأن مخاطر التمييز والتعصب والاقصاء.

\* رابعاً: تفعيل المسؤولية الفردية والمجتمعية والحكومية، وذلك على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع ومؤسسات التربية والتعليم، بحماية أبناء الجيل من الفكر الدخيل أو المتطرف أو الاقصائي، وتهيئة البيئة التربوية السلمية للتعايش مع الآخر واستئصال الاسباب التي تدفع لتبني خطاب الكراهية.

\* خامساً: مع الاعتزاز بالهوية الخاصة لكل فرد أو جماعة لا بد من الحرص على الحفاظ على الهوية الجامعة للدولة المتمثلة بالهوية

الوطنية، في التعايش والبناء.

\* سادسا: تعزيزُ الخطاب الوطني الرسمي التعايشي لأن خطابَ الكراهية يكون أشد تأثيرا في المجتمع حينما يصدر من السلطة الحاكمة أو القوى المتنفذة ضد مجموعة من أبناء الشعب فيُستخف بهم لمعتقد او عرق أو طائفة يقابله انقيادُ هذه الفئة على كره لهذا الاستخفاف مما يؤدي إلى الاضطهاد او التهجير القسري أو المواجهات الدامية (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) (الزخرف: ٥٤).

## الخاتمة

- تشهد البشرية صراعا متجددا يتمثل بصراع الهوية، وفي عصر الاستكبار العالمي للقوى الكبرى، فقد اتفقت قيادتها على استهداف الهوية الإسلامية، وغايتهم مسخ معالم هذه الهوية وضياعها وتقويض مرتكزاتها حتى يصبح المسلمون غثاء كغثاء السيل وتنزع المهابة منهم من صدور أعدائهم.

- الهوية الإسلامية: هي مجموعة الأوصاف والسلوكيات المؤطرة بالشريعة التي تميز المسلم عن غيره، والمجتمع عما سواه، ومثلما للإنسان هويته فللمجتمع هويته، والانسجام بين الهويتين يحقق الاستقرار الشخصي والاجتماعي، وعدم الانسجام بين الهويتين يتسبب بأزمة هوية تؤدي إلى الاغتراب والاضطراب وحتى الاحتراب.

- إن تربية الجيل على مفهوم الهوية الإسلامية ومقوماتها، وإحالتها إلى برامج تنموية لتشكيل الشخصية المستقبلية تمثل ارهاصات النهوض بالأمة من مرحلة الاستضعاف إلى التمكين،

ومن التهديد إلى التحصين.

- تتميز الهوية الإسلامية بربانية المصدر والمرجعية، وبأنها تكاملية وتحريرية متجددة منضبطة، وتقوم على ثلاث ركائز متكاملة: الذاتية والمجتمعية والجامعة، وهي تدرج تحت ثلاثة مبادئ: بالإسلام نحيا، وللإسلام نحيا، ومعاً نعمل للإسلام.

- الإسلام ينظر إلى المسلم كفرد وكجزء فاعل في المجتمع ومتكامل مع الآخرين

- في المجتمعات المتنوعة ومتعددة القوميات والديانات والمذاهب، لا يمكن أن يتحقق الاستقرار إلا باعتماد المبادئ التي تضبط سلوك الفرد في المجتمع، ومنها: اعتزاز المسلم بهويته وحفاظه عليها وعدم الانسلاخ منها، والتعايش السلمي مع المكونات الأخرى تحت مظلة الجامعة والهوية الوطنية والاحترام المتبادل ضمن الأخوة الانسانية، ومواجهة الظواهر الاجتماعية السلبية الدخيلة على مجتمعا، والتعاون على ذلك.

- في البناء الحضاري تمثل الهوية الحافز الذاتي، الذي يدفع أبناء أمة من الأمم نحو التقدم بقوة في اتجاه (الإحياء الحضاري

والعطاء الحضاري والشهود الحضاري)، ويقاومون في الوقت

نفسه الاجتياح الحضاري من قبل الأمم الأخرى

- حفظ الهوية الإسلامية يتطلب زيادة الوعي بمقتضياتها، وهذا الوعي يقوم على نشر ثقافة القرآن، وثقافة السنة النبوية، وثقافة الحلال والحرام بين فئات المجتمع كافة، فتصبح هذه المعاني رأي عام لا يمكن إغفاله أو تجاوزه، ويتحول المجتمع برمته إلى مجتمع رباني

- لا بدّ من العناية بمراكز الدراسات الريادية والمتخصصة برصد الانحرافات الفكرية، وتفنيد الشُّبه، والجواب عن الشبهات والشكوك التي يروج لها خصوم الإسلام في الداخل والخارج، بالحجة والبرهان وتقديم رؤى استشرافية.

- اعتماد سياسة التمويل الذاتي، والتداول الاكتفائي وحسن التدبير والتنمية الاستدامة، في بناء المجتمع وتوفير احتياجاته وتأمين متطلباته، وحفظ الأمن الغذائي والصحي والبيئي والاقتصادي والتعليمي والإعلامي - السيراني، لهذا الجيل والأجيال القادمة، على وفق سنن الله تعالى الكونية والتكليفية.

- إنَّ المنهجية الربانية في خطابنا التواصلي تدعوننا إلى عدم الاستعلاء والاستغناء عن الآخرين، وعلينا جميعاً الإقرار بمبدأ أن الساحة الإسلامية تحتاج الجميع؛ لعظم التحديات الداخلية والخارجية التي تواجهها أمتنا وهويتنا.
- إنَّ تحصين الهوية في البيئة العربية- الإسلامية، وتضييق دائرة خطاب الكراهية، والتسقيط والاقصاء يكون باللجوء إلى الحوار البناء في القضاء على الأفكار العنصرية، لرفع مستوى الوعي بشأن مخاطر التمييز والتعصب والاقصاء، ولاسيما في الخطاب الرسمي.

## الفهرست

٥	المقدمة .....
٦	أهمية الهوية لبناء الشخصية: .....
٧	الاشكالية في أزمة الهوية .....
٨	محاور صناعة الهوية: .....
١٠	المحور الأول: مفهوم الهوية الإسلامية - المقومات والركائز ..
١٠	أولاً: تعريف الهوية .....
١١	ثانياً: مقومات الهوية الإسلامية .....
١٢	ثالثاً: ركائز الهوية الإسلامية .....
١٢	الركيزة الأولى: الهوية الإسلامية الذاتية .....
١٣	الركيزة الثالثة: الهوية الإسلامية الجامعة .....
١٦	رابعاً: هوية المسلم وإيجابية البناء الذاتي والمجتمعي .....
١٨	مخالطة الناس إيجابية والانعزالية سلبية .....
٢٠	اللامبالاة الاصلاحية سلبية، بل جريمة .....
٢١	الإيجابية إنقاذ للجميع والسلبية هلاك للجميع .....
٢٤	المحور الثاني: الأمم وصراع الهويات .....

- 
- أولاً: الهوية ركيزة الأمم ..... ٢٥
- ثانياً: الهوية والتعايش السلمي ..... ٢٩
- المحور الثالث: الهوية الإسلامية - تكوين وتحصين ..... ٣١
- أولاً: لماذا يستبدلون هويتنا؟ ..... ٣١
- ثانياً: صحوة لتكوين الهوية الإسلامية وترسيخ ركائزها ..... ٣٥
- ثالثاً: تحصين الهوية الإسلامية ..... ٤٠
- الخاتمة ..... ٤٦
- الفهرست ..... ٥٠





إصدارات جمعية البصرة  
للبحوث والتنمية الإعلامية

# صِنَاعَةُ الْهُوِيَّةِ

مِنَ التَّكْوِينِ إِلَى التَّحْصِينِ



الدكتور

طه محمد العبدون

رئيس جمعية البصرة للبحوث والتنمية الإعلامية  
تدريسي في كلية الإمام الأعظم الجامعة

البحوث  
والتنمية